هذه خلاصة ما كتبهُ السرهري جنسن وهو صديق للالمانيا والالمانيين ولهُ مقالات كثيرة قبل ذلك حاول بها اقناع قومهُ والالمانيين بان يصافوا ويتزعوا من بينهم كل خلاف وضغينة وكان يعتقد انهُ سينال ما يتمناهُ ولكن خيبت مساعيهِ لان الطبيعة الغضبية لا تزال تربة في الانسان وستبقى كذلك دهوراً طويلة

سياسة المانيا ومستقبلها

ان المقالة السابقة ملخصة مما كتبهُ صديق حميم للالمانيين بذل جهدهُ في جعل انكلترا حليفة لالمانيا وازالة ما بين المانيا وفرنسا من اسباب الخلاف ولكن السطور التالية مقتبسة من مقالة لكاتب آخر مضت عليهِ الاعوام وهو يجاهر بمساوىء السياسة الالمانية ويحذر بلادهُ منها وهو المستر ليس باركر مؤلف كتاب المانيا الحديثة فقد كتب سنة ١٩١٢ في مقدمة الطبعة الرابعة من كتابهِ هذا يقول

« ان فشل السياسة الالمانية الذي اشرت اليهِ في الطبعات السابقة من هذا الكتاب قد زاد في السنين الاخيرة فان نظارة الخارجية الالمانية تدرّجت من فشل الى فشل ومن خطإ الى آخر وما حادثة المغرب الاقصى الاخيرة الاَّ غلطة من سلسلة اغلاط متوالية ومشروعات فاشلة . وسياستها تجاه بريطانيا هي التي سبَّبت الاتفاق الثلاثي وعجَّلت توحيد الامبراطورية البريطانية الذي كانت المانيا تتمنَّى منعهُ وقد حاولت منعهُ فعلاً . ويظهر فشل سياستها الداخلية بما ثبت من ازدياد الحزب الاشتراكي في بلادها حتى بلغت اصواتهُ في الانتخابات الاخيرة سنة ١٩١٢ اكثر من ٤٢٥٠٠٠٠ صوت . ولا شبهة في ان المانيا نجحت نجاحاً فائقاً في صناعتها وتجارتها ولكن من يمعن نظرهُ الآن يجد ان نجاحها اخذ يقل ولا يظهر ان مستقبلها سيبقى باهراً كما كان »

ثم استطرد في هذه المقالة الى الاستدلال على ما يتدرهُ للدولة الالمانية من الخراب العاجل فقال

لقد اكَّد لي اصدقاؤه الامبراطور مراراً انهُ محب للسلام ولكنني لم انفك عن حسبانهِ عاملاً على تقويض دعائم السلم ولقد سبقت فحدَّدت الوقت الذي يفعل فيهِ ذلك فقلت في مقالة نشرت في جزء يوليو من مجلة القرن التاسع عشر سنة ١٩٠٧ عند كلامي على توسيع ترعة كيال حتى تسير فيها اكبر المدرعات ما نصهُ

« ينتظر ان تم ترعة كيل التي تصل البحر الشمالي ببحر بلطيك بعد ثماني سنوات . ففي هذه السنوات الثمان لا تستطيع المانيا ان تنتفع بهذه الترعة الاَّ لتسيير سفنها الصغيرة القديمة ولذلك تبقى بوارجها الكبيرة محصورة اما في بحر بلطيك او في البحر الشمالي فستبذل جهدها لكي لا تقع في مشكل مع دولة بحرية من الدول الكبرى بل تحتفظ بالسلم مع كل جيرانها ولكن متى تمت هذه الترعة تصير مستعدة لحرب بحرية كبيرة »

ولقد كان لهذه المقالة ولاسيما خاتمتها وقع عظيم في انكلترا وغيرها وبذل الالمان جهدهم فاتموا توسيع الترعة في سبع سنوات بدلاً من ثماني سنوات واحتفلوا بإتمامها في ٢٤ يونيو الماضي قبلما شهرت الحرب بخمسة اسابيع وقد حضرت البوارج الانكليزية هذا الاحتفال وكان لها حصة كبيرة من الاشتراك فيه

لما ارتقى الامبراطور الى عرش آبائه كان لالمانيا نكتة الغيا في اوربا وكانت المحالفة الثلاثية مشدودة العرى عزيزة الاركان لان خصومها كانوا منفردين فان بسمارك كان قد اوقع التفرة بينهم بدهائه السياسي ففرّق بين فرنسا وايطاليا بسماحه لفرنسا ان تأخذ تونس التي كانت ايطاليا تصبو الى امتلاكها واوقع التفرة بين انكلترا وفرنسا باغراء فرنسا لكي تناظر انكلترا وتقاومها في امتلاك المستعمرات . وزاد مسافة الخلف بين انكلترا وروسيا بتشجيعه روسيا على مباراة انكلترا في اسيا . ولما نجح في تحريض فرنسا وروسيا على انكلترا اطمأنّ بانهُ بان انكلترا تساعدهُ اذا حاربتاهُ او تبقى على الحياد

وفي كثير من خطبهِ واقوالهِ ما يدلُّ دلالة قاطعة على انهُ كان يخطب ود انكلترا ويقصد مصافاتها فقد عرضت في مجلس النواب الالماني في ١١ مايو سنة ١٨٨٥ مسألة خلاف بين انكلترا والمانيا على بعض المستعمرات فوقف وقال

« إني اطلب من حضرة العضو الذي تكلّم اخيراً ان لا يحاول تكدير العلاقات الودية التي بين انكلترا والمانيا ولا ان يضعف ثقة الناس بدوام السلم بين هاتين الدولتين بقولهِ اننا سنجد انفسنا يوماً ما مضطرين الى محاربة انكلترا فاني انكر احتمال ذلك كل الانكار . والمسائل الخلافية التي بين انكلترا والمانيا وهي الآن موضع النظر ليس لها من الشان ما يستدعي نقض السلم لا من جهتنا ولا من جهتها وفوق ذلك فاني لا اعلم ما هو الخلاف الكبير الذي يمكن ان يقع بين انكلترا والمانيا »

وبعد اربع سنوات تكلّم في مجلس النواب الالماني على ما وقع من الخلاف بين انكلترا والمانيا في زنجبار فقال « ان الاحتفاظ بمودة انكلترا اهم شيء لنا واني ارى في انكلترا حليفة

قديمة محرَّبة . ولا خلاف بيننا و بينها واذا قلت انها حليفة لنا لا اعني بذلك المعنى السياسي لاننا لسنا متحالفين معها ومع ذلك اود ان نبقى على تمام الرفاق معها حتى في مسائلنا الاستعمارية . وقد سارت الامتان الانكليزية والالمانية جنباً الى جنب مئة وخمسين سنة على الاقل واذا رأيت انهُ لا بدَّ لنا من الانفصال عن بريطانيا فاني ابذل جهدي لكي احتفظ بمودتها »

ولقد كان بسمارك حريصاً على حفظ عرى الصداقة مع انكلترا مكيدة لانهُ كان يتوقع مساعدتها اذا اتفقت فرنسا وروسيا على المانيا وحاربتاها وكان يخشى معاداة انكلترا لانها تستطيع ان تلحق الاذى بالمانيا بحراً ولان المانيا والنمسا لا تستطيعان ان تعتمدا على مساعدة ايطاليا الاَّ اذا كانت انكلترا معهما او اذا وقفت على الحياد فان سواحل ايطاليا واسعة وفيها اهم مدنها فلا اسهل من تدميرها بالقنابل الانكليزية ومثلها ايضاً سككها الحديدية فانهُ يسهل تخريبها كلها على دولة بحرية وهي تعتمد على البحر في موارد رزقها مثل انكلترا فاذا كانت انكلترا معادية لالمانيا اضطرت ايطاليا ان تتخلَّى عنها

وقد عظم شأن المانيا بسياسة بسمارك لانها فازت في ثلاث حروب كبيرة . ولما تم توحيدها على اساس راسخة جرى في سياستهِ الخارجية متبعاً سبيل المسالمة والحكمة والاعتدال لكي تثبت عظمة المانيا وتأمن الخاطر لانهُ كان يعلم ان سياسة التهور والطيش والاعتداء والتحرُّش تقيم لها الاعداء الالداء والامبراطورية جديدة لا قبَل لها بهم . وقد وضع خطط السياسة التي يجب ان تسير عليها بلادهُ في خاتمة سيرتهِ حيث قال

« ان تسيير سفينة السلطنة بين العواصف التي اثارها مركزنا الجغرافي وتاريخنا السياسي يضطرنا الى ان نعدَّ دائماً عدتنا الحربية الكافية وننظر الى الامور نظراً دقيقاً . وعلينا ان نبذل اقصى جهدنا لكي نزيل ما قام في نفوس غيرنا من الكراهة لنا بسبب صيرورتنا من الدول العظمى وذلك بان نستعمل نفوذنا استعمالاً مقروناً بالدعة وكرم الاخلاق فنقنع العالم ان تفوُّق الدولة الالمانية انفع لهُ واسلم واقل اجحافاً بحقوق الدول الصغيرة من تفوق فرنسا او روسيا او انكلترا . ولا تنال هذه الثقة بنا الاَّ اذا اقلنا العثرة ورغبنا في المسالمة وكان كرم الاخلاق اساس كل معاملاتنا وكان باطننا مثل ظاهرنا »

وسنة ١٨٨٨ رقي ولهلم الثاني الى عرش آبائهِ وكان يعتقد انهُ ورث روح فردرك الكبير واخلاقهُ وقد رسخ هذا الاعتقاد فيه بما كان يقولهُ لهُ المتملقون من اعوانهِ فجاهر بان الله يوحي اليهِ وهو الذي اليهِ تاج الملك وانهُ غير مسؤول لاحد الاَّ لله عز وجلَّ . ومن اقوالهِ المأثورة « لهذه البلاد سيد واحد وهو انا . من قاومني سحقتهُ سحقاً . نحن آل هوهنزلرن

تتناول تاجنا من الله وحده ولا نقدم حساباً الى احد عن اعمالنا الا الى الله . السنّة العليا لارادة الملك يجب ان لا تريدوا الا ما اريدهُ انا . ليس في البلاد الا سنّة واحدة وهي سنّتي »

وهو كثير الكلام طلق اللسان شديد الثقة بنفسهِ يحيط بهِ جماعة من المتملقين وقد حمل دأبهُ التعرّض لاعمال وزرائهِ ومحاولة ادارتها بنفسهِ فلم يكد يتربع على عرش الملك حتى اقال بسمارك لانهُ ابى ان يجاريهُ في كل رأي خطير وعمل عاقبتهُ الفشل . وقال انهُ سيدير دفة الحكومة في طريق جديد اختطهُ هو لها فيقود البلاد الى المجد والعظمة ويكون وزير نفسهِ فصفّق لهُ المتملقون طرباً وهتفوا اعجاباً . ومن ثمَّ صار يجازف غير حاسب للعواقب حساباً فاغاظ الممالك الاوربية كبارها وصغارها ولم يستثنِ بريطانيا العظمى والولايات المتحدة

ونظر بسمارك من معتزلهِ الى اعمال الامبراطور بالدهشة والاسف وخاف ان يقود البلاد الى المخاطر فكتب في مذكراتهِ يقول « ان الامبراطور ولهلم الاول كان بعيداً عن هذا العُجب الذي نراهُ الآن وكان يخشى ان يعمل عملاً ينتقدهُ معاصروهُ او خلفاؤهم . ما كان احد يتجاسر ان يتملّقهُ في وجههِ لانهُ كان يقول اذا حقّ لاحد ان يتملقني في وجهي حق لهُ ان ينتقدني في وجهي . وكان يكرهُ الاثنين

« واني اخشى من اننا اذا واظبنا على السير في الخطة التي نحن فيها الآن ذهب مستقبلنا ضحيّة التسرّع . كان ملوكنا السابقون ينظرون الى كفاءة مشيريهم لا الى خضوعهم لهم فاذا لم يُطلب من المشير الا الطاعة لاوامر مولاهُ وقع العبء كلهُ على المولى واي ملك يستطيع القيام بهذا العبء وفردرك الكبير لم يستطع القيام بهِ مع ان مطالب السياسة في عهدهِ كانت اسهل مما في الآن »

ولقد اسخف الامبراطور بنصيحة بسمارك الحكيم وهي ان المانيا يجب ان تتبع سياسة الصراحة والمسالمة وتجنّب كل ما يغيظ الدول الاخرى وزاد على ذلك انهُ تحدّى بريطانيا العظمى في تفوقها البحري فقلبها من صديق حميم الى خصم عنيد

ولقد انذر كاتب هذه السطور البرنس بولوف والامبراطور فن تربتز مراراً بان اهتمام المانيا بمناظرة بريطانيا في البحر يعود على المانيا بالضرر الكبير لانها اذا اشتبكت في حرب اوربية اضطرت بريطانيا ان تنصر خصومها عليها فلم يحفلا بقولهِ

حدثت مسألة المغرب الاقصى الثانية في صيف سنة ١٩١١ بارسال السفينة الحربية بنثر الى الغدير وكادت تفضي الى استعار نار الحرب بين فرنسا والمانيا وحينئذٍ قال المستر لويد جورج في المنشن هوس (دار البلدية) علانية انهُ اذا حاربت المانيا فرنسا اضطرت

بريطانيا ان تساعد فرنسا في الدفاع عن نفسها ومنع الخلاف بين بريطانيا والمانيا حينئذٍ حتماً . ولما فصل الخلاف بين فرنسا والمانيا في شهر دسمبر تلك السنة لبث واحداً من زعماء السياسة الالمانيين من نظارة الخارجية الالمانية ودار الحديث بيننا فبانت له ان اهتمام المانيا بقدرية اسطولها حتى يباري الاسطول البريطاني يوقعها في خطر ويفضي الى حرب المحالفة الثلاثية وان سياسة المانيا هذه تهدد كيانها لان سلامتها تتوقف على توثيق عرى الصداقة مع بريطانيا وانهُ يحسن بها ان تجنب مغاضبة فرنسا ولا تزيد سفنها الحربية فوق البيان الذي وضعتهُ لها لانها اذا استمرت سائرة في الخطة التي هي فيها الآن فلا بدَّ من وقوع الحرب بينها وبين بريطانيا . وقلت لهُ ان حرباً مثل هذه تكون نتيجتها قهر المانيا وسقوطها واني اقول هذا القول في مصلحة المانيا لا في مصلحة بريطانيا لانهما اذا تحاربتا لم تخسر بريطانيا شيئاً يذكر واما المانيا فتخسر كل شيء . فلما قلت لهُ هذا القول الصريح احتدم غيظاً واعاني في الكلام . والظاهر ان الذين يديرون سياسة المانيا الخارجية ضُربوا بالعمى . وبعد اسابيع قليلة زيد البيان الالماني الجري زيادة كبيرة وقرَّ القرار على ان تكون الاساطيل الالمانية كلها على قدم الاستعداد للحرب دائماً حتى في زمن السلم وشرعت الصحف تهيج الشعب على بريطانيا . ولما عدت من المانيا كتبت مقالة في مجلة الفورتنيتلي قلت فيها ما يأتي

« ان بريطانيا العظمى غير مضطرة الى مراضاة المانيا لان ابتعاد المانيا عنها لا يضرُّ بها واما ابتعادها هي عن المانيا فيضر بالمانيا ويعرضها لخسارة كبيرة فان البلاد البريطانية امينة في كل مكان واما البلاد الالمانية فمعرضة للخطر من كل جهة ولذلك فالمانيا احوج الى معاونة بريطانيا من بريطانيا الى معاونتها فمع ان الجيش الالماني لا يزال اعظم جيش في اوربا ولكنهُ لا يقدر ان يقاوم جيوش الدول الاوربية التي يمكن ان تتألب عليهِ ولذلك لا يخشى من المانيا الآن على سلام العالم كما كان يخشى منها قبلاً لانفرادها وابتعادها عن بريطانيا انفسها . وعلى ساستها ان يهتموا بالدفاع عن انفسهم اكثر مما يهتمون بالهجوم على غيرهم ولذلك فمن الجنون ان يقول حكام المانيا انهم يحتاجون الى زيادة البوارج لكي يتغلبوا بها على بريطانيا

« وستبقى المانيا مظلمة فان غناها ونموها لا يكفيان لجعل جيشها اعظم الجيوش وبوارجها من القوة بحيث تتحدَّى اعظم الدول البحرية فان كل دولة حاولت ان تكون الاولى برّاً وبحراً معاً عادت بالفشل »

ولما اتضح ان المانيا مصرَّة على تحدي بريطانيا ومنافستها كتبت في مجلة القرن التاسع عشر في شهر يونيو سنة ١٩٠٢ ما نصهُ

«لا تستطيع دولة ان تتوسع في سياستها البحرية الاَّ اذا كانت بلادها في حوز حريز إما بان تكون جزيرة كبريطانيا واليابان او بان تكون بعيدة لا يستطيع جيرانها ان يغزوها كالولايات المتحدة . اما المانيا فلها ثلاث جارات قويات واثنتان منهنَّ وهما فرنسا وروسيا ليستا من صديقاتها ولا تستطيع ان تثق ثقة تامَّة بمساعدة جارتها الثالثة وهي النمسا . وقد انتبه بسمارك لذلك وحذرها منهُ في مذكراته . ولهذا فحاجة المانيا الكبرى هي الى التحصُّن في البر لا الى التوسع في البحر ومصالحها برية لا بحرية » . وواضح ايضاً ان سياسة الامبراطور ولهلم جعلت المحالفة الثلاثية اسماً لغير مسمًّى فلا تستطيع المانيا ان تعتمد على معونة ايطاليا في ساعة الشدَّة . وقد كتبت في هذا الموضوع سنة ١٩١٢ اقول

«السياسة الخارجية بنتائجها فيها تمدح او تذم . لما اقيل بسمارك من منصبهِ كان التحالف الثلاثي متين الاركان كالبناء المرصوص وكانت كلٌّ من فرنسا وروسيا وبريطانيا منفصلة عن الاخريين ولذلك كانت المانيا في حرز حريز وكانت صاحبة الامر والنهي في اوربا . فلما اتَّبعت سياسة المغاضبة لبريطانيا ابعدتها عنها وقربتها من فرنسا واضعفت المحالفة الثلاثية وقلَّ من يتكل الآن من الالمان على ايطاليا في ساعة الضيق فكانت نتيجة السياسة الالمانية ان تولَّد الاتفاق الثلاثي وضعفت المحالفة الثلاثية او انحلت . نعم انها لا تزال في حيز الوجود ولكنها حبر على ورق لانهُ لا ينتظر من ايطاليا ان تنصر المانيا على فرنسا ولا يحتمل انها تحارب بريطانيا وبالاحرى لا تحارب بريطانيا وفرنسا متحدتين . وقلَّ من يعتمد على مساعدة ايطاليا من الالمان المتنورين واكثرهم يعتقد انها تبقى على الحياد اذا نشبت حرب اوربية كبيرة او تنضم الى اعداء المانيا »

واعيد القول الآن ان مركز المانيا في اوربا كان في عهد بسمارك وبداءة حكم الامبراطور ولهلم الثاني امناً جدًّا فقد كان اعداؤها منفصلين غير متحدين وكانت المحالفة الثلاثية حماسية لان المانيا كانت تستطيع الاعتماد على تركيا ورومانيا عند الحاجة وكانت تركيا ورومانيا قادرتين على مساعدة المحالفة الثلاثية اذ نشبت الحرب بينها وبين روسيا ولكن المانيا اغضت عن تركيا وسمحت لايطاليا ان تسلبها املاكها ثم سمحت لمالك البلقان ان تفعل ما فعلت ايطاليا فتغير التوازن في اوربا ورأت رومانيا ان المحالفة الثلاثية لم تعد اقوى من الاتفاق الثلاثي لاسيما وانها تنوي الاستيلاء على البلاد المجاورة فما من مملكة النمسا والمجر التي يسكنها ثلاثة ملايين من الرومانيين . فضعف سياسة الامبراطور ولهلم اضعف تركيا وحرم المانيا مساعدة سبع مئة الف من جنود الاتراك البواسل وحرمها ايضاً مساعدة ايطاليا .

ومساعدة هاتين الدولتين لالمانيا كانت فائقة الثمن ولاسيما في هذا الوقت . وقد اشرت الى ذلك في مقالة نشرت في هذه المجلة في شهر يونيو من السنة الماضية حيث قلت

« لقد كان من سياسة المانيا انها اخذت بريطانيا العظمى الى الاتفاق مع فرنسا وروسيا فتعرضت المانيا لحرب برية وبحرية في وقت واحد ولذلك وجب عليها ان تقوي مركزها البري حتى يستحيل التغلب عليها برًّا وذلك بتقوية النمسا وايطاليا ورومانيا وتركيا ولاسيما تركيا لان مساعدتها كبيرة القيمة اذا نشبت الحرب بين المانيا وبريطانيا وكان الواجب عليها ان تضمها الى المخالفة الثلاثية ولكنها جرت في سياستها مع تركيا كما جرت في سياستها مع بريطانيا بالرعونة وقصر النظر في العواقب فسمحت اولاً لايطاليا ان تغزو بلاداً عثمانية وتجتاحها وسمحت ثانياً لمالك البلقان ان تحاربها وتفوز عليها وتنتزع جانباً كبيراً من بلادها . فلو كانت المانيا على شيء من حسن السياسة او لو كان زمامها في يد سياسي محنك او رجل بصير بالعواقب لرأت ان تعضيدها لتركيا اهم لها من تعضيدها لايطاليا ولضمّت تركيا الى المخالفة الثلاثية كما اشار الجنرال فون برنهاردي او لاجابت بلاغ ايطاليا النهائي لتركيا ببلاغ مثله لايطاليا وارجح انها كانت منعت اجتياح ايطاليا لطرابلس الغرب »

والمشهور ان الجيش الالماني احسن الجيوش انتظاماً ولكن الخبيرين بالامور الحربية يقولون لك ان الامبراطور اضرّ بالجيش الالماني كما اضرّ بالسياسة الالمانية فانهُ من حين اهتم بمباراة بريطانيا بحراً اهمل امر الجيش فاولاً قلل نفقاته وعدد المنتظمين فيهِ لكي ينفق على الاساطيل والبحارة وثانياً جعل نفسهُ قائداً للجيوش البرية والبحرية كما جعل نفسهُ وزيراً للداخلية والخارجية يقال انهُ لما عين ابن اخ ملكي رئيساً لاركان الحرب كما كان عمهُ ملكي الشهير اعتذر عن قبول هذا المنصب لانهُ لا يستطيع القيام باعبائهِ فطيب الامبراطور خاطرهُ وقال لهُ أن ما لا تعرفهُ انت اعرفهُ انا فانوب منابك في كل ما يطلب منك عملهُ

وقد شرحت هذا الاهمال للجيش في المقالة التي تكلمت فيها عن فشل السياسة التي جاءت بعد بسمارك حيث قلت « ان زعماء هذه السياسة يقولون ان مستقبل المانيا في البحار ولذلك اهملوا الجيش في انكم وانكيف . فجعلت المانيا تحتوي على بحريتها وتعول على بريتها ولم تقف نتيجة ذلك عند تقليل الجيش بل تناولت صفات ضباطهِ فيشكو القواد الالمان الآن من ان ترقية الضباط صارت بالصفيحة اكثر منها بالكفاءة . والمواد الحربية من اسلحة ونحوها لم تعد صالحة كما كانت قبلاً وصارت عند الفرنسويين اصلح منها عند الالمان وكذلك صارت المدافع الفرنسوية اصلح من المدافع الالمانية بشهادة الكولونل بيل وغيره من الثقات وامست

حركات الجيش الالماني قديمة . ولم يستفد الالمان مما رأوهُ في حرب البويرو وحرب الروس واليابان . وقد نشر الماجور هو بستات كتاباً سنة ١٩١٠ قال فيهِ ان الجنود الالمانية تضيع اكثر وقتها في التعلم في ساحات التكنات واقلهُ في الحركات الحربية . ويحسب كثيرون من الضباط ان سبب هذا الاهمال هو الامبراطور فان جدهُ ولهلم الاول كان جندياً فكان الجيش شغلهُ الشاغل ولم يكن يسمح لاحد ان يقلقهُ ولا كان للصنيعة محل عندهُ واما ولهلم الثاني هذا فجعل البحرية شغلهُ الشاغل فلا يهتم بالجيش الاَّ مكرهاً . ويقول كثيرون ان اهتمامهُ بهِ ليس اكثر من اهتمامهِ بنظارة الخارجية »

ولما حدثت حادثة المغرب الاقصى بادرت المانيا الى تعزيز جيشها فاصلحت الاسلحة وقوَّت الحصون . كانت ميزانية الحربية ٤٧٠٢٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٢ فصارت ٥٠٤٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ و ٨٣٥٠٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٤ وعيفت ٥٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه فوقها نفقات غير عادية لتعزيز الجيش . ولكن الجيوش والاساطيل تنمو نمواً ولا تخلق خلقاً ولا يصلح في يوم ما افسد الدهر ناهيك عن ان رقي الجنود واعتمادهم على انفسهم لا يشتريان بالمال ولا ينزع بهِ ما في النفوس من الغرور ولا يعطى بهِ حسن النظر في العواقب ولا يبدل بهِ قوَّاد ترقوا بالصنيعة بقواد يستحقون الترقي بالكفاءة

قلنا ان بسمارك علَّم بلادهُ بعد ان عظم شأنها ان تسير بالدسة والتؤدة والمسالمة ولكنهُ اوصلها الى هذه العظمة بالاعتداء على غيرها فرسخ عملهُ في نفس ابنائها اكثر مما رسخ تعليمهُ وذلك بتيت الحكومة الالمانية تعتقد انها لا تزيد عظمة وتبسطاً الاَّ بالقوة . وهذا مذهب الشعب الالماني نشأت منهُ عصب مختلفة لاغراض مختلفة من ذلك عصبة البحرية وهي تحوي مليون نفس وغرضها جعل البحرية الالمانية اقوى بحريات الدول كلها . وعصبة الجيش وهي تسعى لجعل الجيش الالماني اقوى جيوش العالم . وعصبة الهواء او الطيران وغرضها ان تتسلط المانيا على السير في الهواء . وعصبة جمع الالمان وغرضها ان تتغلب المانيا على بلجكا وهولندا والدنمارك والولايات الروسية على بحر بلطيك وان تتسلط المانيا اخيراً على العالم كلهِ

وجعل الكتَّاب ينشئون الروايات ويبينون فيها كيف تتغلَّب المانيا على فرنسا وروسيا وتحطم الاسطول البريطاني وتثير الثورة في الهند وتدوخ انكلترا وتنزع منها مستعمراتها وتقاصص الولايات المتحدة وتمزق تعليم منرو الذي يمنع اوربا من امتلاك البلدان في اميركا . وقلما تجد في هذه الروايات او الكتب التي على شاكلتها اشارة الى ان المانيا قد تُقهَر في حرب من حروبها . وقد خطب الوف من الخطباء والقواد والاساتذة حاثين على التدرُّع بالقوة

ولكن ليس منهم من حث على التدرع بالحكمة او بالحذر او بمعاملة الغير بالانصاف . وعندهم ان من يطلب الاعتدال او يفرض احتمال الغش هو خارج عن الوطنية وعدو لها

والشعب الالماني سهل القياد يفعل ما يطلبهُ زعماؤهُ . قد يعامل الغرباء بالتسلف ولكنهُ مع حكامهِ خراف وديعة وعبيد مطيعة سياستهُ سياسة حكامهِ ورأيهُ رأيهم . وقد مرَّ عليهِ ربع قرن وهو لا يسمع الاَّ كلام العتو والعظمة والجبروت فتغير ما كان فيهِ من خلق كريم وعقل ثاقب

بعد ان رسم الكاتب هذه الصورة لالمانيا وامبراطورها وتوسع في ايضاحها وكيفية دخول المانيا في هذه الحرب وخرقها لحياد البلجيك واعتذارها عن ذلك بانهُ السبيل الوحيد للاسراع في قهر فرنسا استطرد الى وصف هذه الحرب وما يقدرهُ لها من العواقب فقال : —

ان الحكومة لا تقلع في حرب تثيرها ما لم يكن شعبها راغباً في هذه الحرب كما قال بسمارك في مذكراتهِ . والشعب الالماني ليس راغباً في الحرب الحاضرة كالشعب الفرنسوي والشعب الروسي . وقلما يفلح امروءٌ في امر وهو ليس على حق فيهِ فلا يطول المطال حتى تضطر المانيا ان تأخذ جانب الدفاع . وشكل بلادها الطبيعي يسهّل عليها الدفاع عن نفسها فان فيها ثلاثة انهر كبيرة تخترقها من الجنوب الى الشمال وهي الرين والوزر والالبي فتعيق من يقصد تدويخها وكل جسور (كباري) الرين الكبيرة محصنة امنع تحصين وبين برلين والبلاد الفرنسوية سلاسل من الجبال يصعب ارتقاؤها . والبلاد من جهة روسيا سهل ولكن يصعب اختراقها على الجيوش الكبيرة لكثرة ما فيها من البحيرات والمستنقعات والغابات . وما فيها من الطرق وسكك الحديد تحميهِ حصون قوية فلا بدَّ من ان تطول الحرب كثيراً الاَّ اذا قهر الجيش الالماني في معارك كبيرة فاصلة . ولكن اذا بقيت الحرب سجالاً طالت ستة اشهر او اكثر

ولا خوف من المجاعة في المانيا لانها تنتج من بلادها تسعة اعشار ما تحتاج اليهِ من الحبوب فتستعيض من العشر الباقي بالبطاطس والسكر وغلتها فيها كثيرة جداً تزيد على حاجتها . واذا قلت غلة البيرا والبيرتر توفر لها كثير من البطاطس والشعير . وهي قلما تستورد شيئاً من اللحم ولكن قد يقل فيها علف المواشي ولا بدَّ من ان تحتاج الى الزبدة والبيض والجبن والسمك والبن والشاي والتبغ لانها تستورد كثيراً منها . ولذلك لا تفتقر الى لوازم المعيشة ولو طالت الحرب سنة او اكثر . ولكن معاملها تقف عن العمل لقلة الفحم الحجري والمواد الاولية كالصوف والقطن والحرير والمعادن وسيقل الوقود عند السكان لان اكثر مستخرجي الفحم الحجري خرجوا للحرب . وعشر تجارة المانيا الخارجية مع انجلترا وجيرانها المصافين لها والتسعة الاعشار مع البلدان المحاربة لها الآن فستقف وقوفاً تاماً وتبطل معاملها و يفتقر عمالها

واذا دارت الدائرة عليها فالمرجح ان ينزع منها جانب كبير من بلادها شرقاً وغرباً وشمالاً فتفقد ولاية الالزاس واللورين الفرنسويتين وفيها مناجم الحديد التي رقّت الصناعة الالمانية. ومن المحتمل ان تأخذ فرنسا كل البلاد الالمانية الى حد نهر الرين. ويحتمل ايضاً ان تعطى شلسويك هولستين وكيال مع ترعة كيال للدنمارك لان هذه البلاد كانت لها حتى سنة ١٨٦٤. وتأخذ بريطانيا العظمى هليغولند وبورکم وكل المستعمرات الالمانية. وقد اعلن القيصر ان غرضهُ ارجاع بولونيا مملكة مستقلة تحت حمايته فتخسر المانيا جانباً كبيراً من شرقيها وتخسر سيلاء دنتزج وكونجسبرج وهما من صميم مدن بروسيا فتصير برلين على ٩٠ ميلاً من تخوم روسيا بعد ان كانت على ١٨٠ ميلاً منها فتتعرض لهجوم الروس عليها من وقت الى آخر

ولا بدَّ من ان تنتقل مناجم المانيا مدة الحرب الى غير الالمان ثم حينما تضع الحرب اوزارها تضطر المانيا ان تدفع غرامة حربية لا تذكر في جنبها الغرامة التي دفعتها فرنسا اليها. فقبل نشوب الحرب تهدَّدت الصحف الالمانية فرنسا بان المانيا ستأخذ منها الفي مليون جنيه لا مئتي مليون جنيه كما اخذت سنة ١٨٧١ فلا يبعد ان يؤخذ هذا المال الطائل من المانيا الآن اذا دارت الدائرة عليها فتفتقر وتزاد الضرائب على شعبها والجاح الصناعي والفقر لا يجتمعان في بلاد. وللالمان اموال طائلة ومصالح كبيرة في فرنسا وبلجكا وبريطانيا وروسيا فيفقدون جانباً كبيراً منها. واذا انحطت الصناعة الالمانية عن المقام الرفيع الذي بلغتهُ بارت مصنوعاتها وضرب الفقر اطنابهُ في البلاد فيضطر ملايين من السكان ان يهاجروا الى اميركا والمستعمرات الانكليزية

والمسألة الآن هل يصبر الالمان على الضيم ويواصلون الحرب الى نهايتها ام يخرجون على امبراطورهم. وهذا الخروج محتمل وقد يكون على وجهين فيحتمل انهُ اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني في معركة كبيرة جداً تخرج الولايات الجنوبية عن الاتحاد الالماني وتمتنع عن مواصلة الحرب مع الامبراطور. والظاهر من خطبة ملك باڤاريا ان هذا الخروج ليس ببعيد الاحتمال. ويحتمل ايضاً ان ينهض الشعب الالماني كلهُ ويخرج على حكامهِ لان الفريق الاكبر من الشعب غير راضٍ عن الحكومة والمتظلمون المتنورون لا يرضون ان يحكموا كالاولاد. وما دامت البلاد في رخاء لا يصعب على شعبها الرضوخ للحكم الاستبدادي المموَّه بغشاء دستوري ولكن اذا حلَّ بها الضيق وضعف شأن الحكومة تمزق غشاء التمويه ولذلك اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني فالمرجح ان الشعب ينهض ويطلب حكومة مقيدة كالحكومة الانكليزية او حكومة جمهورية ولا يبعد ان يخلع الامبراطور وولي عهدهِ لان لهما اليد الطولى في اثارة هذه الحرب ويأبى ان يكون ملوكهُ في المستقبل من آل هوهنزلرن

قد تضيق مساحة المانيا وقد ينتقر سكانها ولكن الشعب الالماني شعب حي نشيط والبلايا تنهض الهمم وتشحذ الاذهان . وما اضعف هذا الشعب في الماضي الا السياسة الحربية الاستبدادية التي جرى عليها حكامهُ فاذا تخلص منها فالمرجح انهُ لا تقضي عليهِ سنون كثيرة حتى يعود الى مقامهِ الاول بين شعوب الارض ويصير شعباً جمهورياً مسالماً كسكان بريطانيا وسكان اولايات المتحدة الاميركية ويجاريهم في ميدان الحضارة وحينئذٍ يتحقق الحلم الذي يحلم بهِ البعض وهو اتحاد الشعوب الجرمانية الثلاثة

لكن اذا دارت الدائرة على الجيش الالماني فالمرجح ان الامبراطور ينزل الى ميدان القتال ويحارب حتى يقتل ويحتمل ان يقع في الاسر او يلجأ الى بلاد اخرى وكيفما كانت الحالة لا ينتظر ان يعود الى عرشهِ ولا ان يعامل بالتودة لان هذه الحرب التي اثارها جريمة لا تغتفر ضد المانيا وضد نوع الانسان والعمران عموماً

وضرر هذه الحرب بالنمسا اشد من ضررها بالمانيا لان المانيا لا تفقد الا حصتها من بولونيا وسكانها ٣٥٠٠٠٠٠ والبلاد التي اصلها لفرنسا والدنمارك . واما بلاد النمسا والمجر وسكانهما ٥٣٠٠٠٠٠٠ فليس فيها من الشعب الجرماني الا ١٢٠٠٠٠٠٠ ومن الشعب المجري الا ٨٠٠٠٠٠٠ ولكن فيها ٣٠٠٠٠٠٠٠ من السلاف فتخسر حصتها من بولونيا وعدد سكانها ٥٠٠٠٠٠٠ وتأخذ روسيا منها البلاد التي سكانها روثنيون وهم ٣٥٠٠٠٠٠ ويتضم صربها الى الصرب وعددهم ٥٠٠٠٠٠٠ ورومانيوها الى رومانيا وعددهم ٣٠٠٠٠٠٠ وايطاليوها الى ايطاليا وعددهم ٠٠٠٠٠٠٠ . وحينئذٍ تعود بولونيا مملكة كبيرة سكانها ٢٠٠٠٠٠٠٠ ويصير سكان رومانيا ١٠٠٠٠٠٠٠ وسكان الصرب ١٠٠٠٠٠٠ . ويحتمل ان يبقى امبراطور النمسا متسلطاً على ما يبقى من مملكتهِ ويحتمل ايضاً ان يحل بآل هبسبورغ ملوك النمسا ما حل بآل هوهنزلرن ملوك بروسيا

اما الدول الاخرى بريطانيا وفرنسا وروسيا فاذا عقد النصر لها اخيراً فانها لا تلبث ان تسترد ما خسرتهُ فبريطانيا تسع صناعتها وتجارتها وتتوسع امبراطوريتها وفرنسا تعود الامة العظيمة La Grande Nation كما كانت وروسيا تتدرج بتحريرها بولونيا الى ان تصير بلاداً دستورية بالفعل

والفوز الاكبر والغنية العظمى اذا عقد النصر لحلفاء هو في تغلب المذاهب الدستورية السلمية الشائعة في انكلترا وفرنسا على المذاهب الاستبدادية الحربية الشائعة في المانيا وفي ما ينتج عن ذلك وهو تقليل النفقات الحربية وابطال الحروب اخيراً ولو مدة نصف قرن